رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

النخبة المثقفة وإشكالية المفهوم

- وليدة حدادي
- جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2 haddadiwalida@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2018-03-11 تاريخ القبول: 2018-05-25 تاريخ النشر: 2019-05-29

ملخص: تتميز دراسة النخبة المثقفة بالأهمية الكبيرة في كل المجتمعات، لما تتميز به هذه الفئة من فعالية، من منطلق الأدوار التي تمارسها في المجتمع، والتي تقوم أساسا على المشاركة الإيجابية في مناهضة الأحداث المعاصرة التي تمس ثوابتها وثقافتها، إلا أن هذه الدراسات لا تزال تصادفها إشكالات تتعلق بتعدد وجهات النظر حول مدلول النخبة المثقفة، ووجود غموض بشأن جوانب كثيرة ومهمة تتعلق بعلاقتها مع الدولة والمجتمع، ومدى تعبيرها عن واقع مجتمعاتها والعمل على تنميتها.

الكلمات المفتاحية: النخبة، المثقف، النخبة المثقفة.

Intellectual elite and conceptual problem

Abstract: The study of the intellectual elite is of great importance in all societies, Because of its effectiveness in terms of its role in society, which is based mainly on positive participation in contemporary issues related to their culture and culture, however, these studies are still faced with problems related to the multiplicity of views on the meaning of the intellectual elite, and ambiguity in several aspects related to its relationship with the State and society, in addition to the extent of expression of the reality of their societies and work on their development.

Keywords: Elite, The intellectual, The intellectual elite.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

مقدمة:

تعد دراسة النخبة المثقفة من أهم المسائل والقضايا الجوهرية في المجتمعات على اختلافها، نظرا لما لهذه الفئة من مكانة وكفاءة ثقافية وسياسية واجتماعية، مرتبطة جدليا بالبناء الاجتماعي والفكري، باعتبارها تمثل العنصر الفعال في مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، ولطبيعة الأدوار التي تمارسها هذه الفئة تجاه نفسها، وتجاه الواقع الاجتماعي من تأثير، وكذلك للدور التاريخي الذي تؤديه هذه الفئات بحكم طبيعة تكوينها.

ورغم أن دراسة النخبة تحتل أهمية كبيرة في إطار موضوعات علم الاجتماع السياسي، ذلك لأهمية ما تملكه النخبة من أدوات مؤثرة في تكوين واستقرار المجتمعات وتشكيل نسق الحكم والفكر والتوجه العام، فإن دراسة النخب لم تعد قصرا على علم الاجتماع السياسي، بل تعدى ذلك إلى العديد من العلوم فهي الآن أحد أهم محاور الدراسات السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية، والنخب تضطلع بالعديد من الوظائف، ومنها أو أهمها صياغة آليات الحكم وتغيير القيم والسلوكيات، وهكذا فإن دراسة النخبة تعني إلقاء الضوء على مكون أساسي في صنع الواقع السياسي والثقافي والديني في مجتمع ما.

لذا فإن إشكالية تحديد مصطلح النخبة المثقفة أو المثقف عموما تمثل مسألة محورية في مسار أي مجتمع، على اعتبار أنها تمثل إرهاصا معنويا وماديا في مسارها التاريخي، يترجم بشكل أو بآخر حركية المجتمع من جهة ومعيارا تأطيريا للحظة تواجدها من جهة أخرى، فالحديث عن النخبة المثقفة يبقى مؤشرا قويا يترجم مدى حيوية المجتمع في ماضيه وراهنه، ومدى قابليته لبلورة مشروع ثقافي حداثي، لكونها مشتلا سياسيا يبلور منظومة من القيم ومشاريع الأفكار التي تطبع هوية المجتمع وخصوصياته الحضارية.[1]

أولا- في مفهوم النخبة:

تواجدت النخبة منذ القدم حيث تعود إلى أعمال الفلاسفة الإغريقيين، ومنهم الفيلسوف أفلاطون حينما تكلم عن ضرورة أن يحكم المجتمع فئة من الأفراد النابهين[2]، كما ظهرت كذلك عند طائفة البراهمة وهي تتواجد بالهند منذ العصور المبكرة، فضلا عن ذلك وجدت مذاهب ومعتقدات دينية عبرت بشكل أو بآخر عن فكرة النخبة، إلا أن المفهوم تبلور أكثر في العصر الحديث، حيث كانت البدايات للمناقشات النظرية والتحليلية حول النخب في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين في بريطانيا وأمريكا بوجه خاص، بالجدال العلمي والسياسي الذي كان محتدما بين التوجهات الاشتراكية والماركسية من جهة والتوجهات الليبرالية من جهة ثانية، واكتست وجها مغايرا بالنسبة إلى البلاد العربية والإسلامية لاختلاف ظروفها التاريخية عن الأولى، واختلاف أطراف الجدال.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

ويعود التصور السياسي والاجتماعي الحديث للنخبة إلى دفاع سان سيمون "Simon Saint" عن حكم العلماء ورجال الصناعة، إلا أن الصفوة اتخذت معاني ومضامين متنوعة بعد أن أقر مسألة الفروق الطبقية وأكد التفاوت بين الأغنياء والفقراء، ويعد أقدم استخدام معروف في اللغة الانجليزية لكلمة النخبة طبقا لقاموس أكسفورد كان في سنة 1823، حينما كانت تنطبق بالفعل على الجماعات الاجتماعية والسياسية الأوروبية بوجه عام في أواخر القرن التاسع عشر، وفي ثلاثينيات القرن العشرين في بريطانيا وأمريكا بوجه خاص حينما انتشر المصطلح وساد استخدامه في النظريات السوسيولوجية للصفوة، وعلى الأخص تلك التي تضمنتها كتابات فيلفريدو باريتو.[3]

وقد صنفت الكثير من الدراسات المجتمعات إلى فئتين متميزتين هما[4]

- الأولى: أقل عددا والأقوى سيطرة والأشد احتكارا للنفوذ فضلا عن تمتعها بالمزايا المصاحبة للقوة.
- الثانية: هي أكثر عددا وتخضع لتوجيه وتحكم الفئة الأولى، أي أن في أي مجتمع من المجتمعات سوف ينقسم أعضاء المجتمع أقساما أولية إلى حكام أو صفوة ومحكومين أو جماهير، وسوف يستمر التمايز وعدم المساواة لامتلاك الفئة الأولى للامتيازات التي تحرم منها الفئة الأخيرة.

أما في اللغة العربية فقد جاء مصطلح النخبة في لسان العرب فيما يأتي: " نخب، انتخب الشيء، اختاره والنخبة ما اختاره منه، ونخبة القوم ونخبتهم خيارهم، قال الأصمعي، يقال هم نخبة القوم (بضم النون وفتح الخاء)، قال أبو منصور وغيره: يقال نخبة (بتسكين الخاء) ويقال جاء نخب أصحابه أي في خيارهم، والنخبة: المنتخبون من الناس والمنتقون".[5]

وجاء في قاموس ويبستر "Webster" أن النخبة هي المجموعة المنتقاة والتي تعد بمثابة أفضل عناصر أي مجتمع من المجتمعات، [6]وتستخدم كلمة نخبة بالمعنى المفرد ونخب بالمعنى الجمع، وترادفها في اللغة العربية كلمة الصفوة.

وقد جاء لفظ الاصطفاء في القرآن الكريم بمعنى الاختيار، وورد مصطلح الصفوة في آيات عدة مثل قوله تعالى: « أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ...». **(سورة فاطر، الآية: 32)**، **وقال تعالى:**« وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِين». (آل عمران الآية: 42)، وقال سبحانه تعالى:« ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ... ». **(سورة الإسراء، الآية: 40)**.

وجاء لفظ صفوة في الحديث الشريف في ثلاثين موضعا على لسان النبي – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه حين يخاطبوه، مثل قولهم له: "أنت نبي الله وصفوته"، وقوله – صلى الله عليه وسلم- "لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره"، وقول أحد الصحابة: شربت صفوة الماء وتركت كدره، والصفوة في هذه

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

الأحاديث تعني أفضل الشيء وخلاصته المختارة، وهو المعنى الذي يدور حوله مفهوم الصفوة والنخبة بشكل عام.[7]

وهو ما نجده كترجمة للمصطلح الفرنسي "Elite" والذي يشير إلى الأفضل أو المختار، فقد كان أول استخدام للمصطلح في اللغة الفرنسية للتعبير عن السلع المنتقاة وفق مواصفات خاصة لتكون دلالة على جودة الصنف، ثم تطور المفهوم أكثر حتى أصبح يعبر عن الامتياز في أي ميدان من الميادين[8]، ويقصد بمصطلح النخبة في اللغة الإنجليزية "Elite" جماعة أو جزء منها اختير أو نظر إليه على أنه الأفضل والأكثر نفوذا وقدرة[9]. أما في الإسبانية فأصل الاشتقاق هو "Lomas Selecto" ومعناه مثل ما في الفرنسية والإنجليزية، وترسم الكلمة في اللغة الإيطالية مثلما ترسم في اللغة الفرنسية موضوعة بين مزدوجين، وبنفس المعنى[10].

ومنه تدل المعاني الاشتقاقية للفظ نخبة في لغات مختلفة على الندرة والقلة، إذ هي تحيل على الاصطفاء والاختيار والانتخاب، وتمتد تلك الإحالة إلى ما يمثل خصيصة الشيء الأكثر تميزا له عما عداه وعلى أساس التميز والنقاوة والصفاء والرفعة وعدم الاختلاط مع ما هو عام ومبذول ومبتذل وعادي.

وفي الاصطلاح وردت تعاريف كثيرة لمفهوم النخبة، أهمها ما ورد في قاموس علم الاجتماع، الذي عرف النخبة بأنها جماعة من الأشخاص يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معين، فهي تقوم بالتأثير على الغالبية غير المنظمة، من هنا كان لها دور مهم في عملية التغير الثقافي، ويستخدم المصطلح بالتحديد للإشارة إلى النفوذ الذي تمارسه هذه الجماعات وبخاصة القلة الحاكمة في مجال محدد.[11]

وتشير النخبة إلى أية طائفة تتوفر فيها صفات ذات قيمة كالقدرة الفكرية والهيبة والسلطة الأدبية والنفوذ الواسع.[12]

وعموما يشير مفهوم النخبة إلى[13]

- أن المكانة الاجتماعية هي المحك الرئيسي لتميز النخبة من غير النخبة في المجتمع.
- أن النخبة باعتبار أفرادها جماعة متميزة تتمتع بالقوة والنفوذ وتتربع على قمة البناء الاجتماعي يعدون أقلية من الناحية العددية، حيث أنهم أقل بكثير من أولئك الأغلبية الذين يؤثرون فيهم ويحكمونهم.
- إمكانية تعدد النخب في المجتمع بتعدد مجالات النشاط المهني ومواقع الإدارة والحكم في أجهزة الدولة، وبالتالي يصبح لكل مجال من المجالات النخبة الخاصة به والتي تتمتع فيه بالقوة والنفوذ والسيادة.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

- وعلى الرغم من تعدد النخب في المجتمع، إلا أن الترابط والتماسك والانسجام بينها قائم، حيث يعرف بعضهم بعضا، ويدخلون في شبكة من العلاقات والمصالح يتفاعلون خلالها لتحقيق أهداف معينة.
- إمكانية التبادل بين أعضاء النخبة بالنسبة للمراتب العليا في المؤسسات العسكرية والاقتصادية والسياسية والإدارية في المجتمع، وإمكانية صعود جماعات معينة وهبوط أخرى مع ما يتعرض له المجتمع من مؤثرات داخلية وخارجية على ضوء ما تسفر عنه عمليات الصراع الاجتماعي بين الجماعات الاجتماعية المختلفة في المجتمع.
- تباين السمات الخاصة للنخبة ليس فقط بين المجتمعات المختلفة، ولكن أيضا داخل المجتمع الواحد في الفترات الزمنية المختلفة، ولكل حقبة زمنية أو أكثر السمات الخاصة بنخبتها، سواء من حيث خلفيتها الاجتماعية أو من حيث أيديولوجيتها وتوجهاتها العامة، وأساليب ممارستها في المجتمع.

ينظر الفكر الغربي إلى النخبة باعتبارها كل من يتعامل مع بعض أو كل المتغيرات الأساسية في مجتمع معين، من منطق التفوق النسبي، والاتسام بسمات ريادية، سعيا إلى تحقيق الأهداف العامة لذلك المجتمع، في ضوء التفاعل بين المنظور الذاتي للمجتمع والمؤثرات الخارجية، والباحثون الغربيون يسلمون أن النخبة حسب تصورهم لها بمجرد أن تصل إلى مركز القوة فإنه يحدث تعارض في المصالح بينها وبين المجتمع، لما تحدثه السلطة في القادة من تحولات نفسية قوامها، التشبث بالسلطة والمبالغة في الإيمان بها، والنظر إلى أية معارضة على أنها عنصر لا يسعى إلى الصواب.[14]

وفي ذلك يتميز المنظور الإسلامي لمفهوم النخبة والذي يحددها بأنها:" جماعة منظمة وصالحة من العلماء والأمراء تعنى بالتضافر والتشاور فيما بينها بتعيين أمر الله فيما يواجه الأمة من مواقف وتقوم بتنفيذه بالتكافل العام مع الأمة.[15]

ومنه فكل هذه التعاريف لمفهوم النخبة تتفق على أن أفرادها متميزون ومؤثرون في مجتمعهم، وأنهم يقودون الرأي العام في مجالات عديدة، لأنهم أكثر فئات المجتمع تأثيرا في الحياة العامة وقدرة على اتخاذ القرار، وتتعدد النخب لتشمل النخب السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية، "حيث ينظر البعض إلى أن النخبة واحدة في المجتمع الواحد، وتشمل البارزين في كل المجالات والخادمين للأهداف العليا لمجتمع ما في وقت معين، ولا تشمل البعدين الثقافي والفكري فقط، بل تشمل أبعادا أخرى سياسية واجتماعية واقتصادية"[16].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

ثانيا- في مفهوم المثقف:

تشير كلمة المثقف في اللغة العربية إلى الحذق والفطنة والخفة وتسوية الاعوجاج وتقوية الإدراك وسرعة الفهم والمهارة والتأدب، وهي مشتقة من الفعل ثقف، ثقفا، ثقافة، صار حاذقا، فهو ثقف. ثقف الرمح بمعنى قومه وسواه، والولد قد تثقف، هذبه، وعلمه فتهذب وتعلم فهو مثقف، وهي مثقفة. وثقف الشيء بمعنى عرفه، ويقال: ثقفت فلانا، أي هذبته وأصلحته وسويت اعوجاجه حتى صار مستقيما.(17)

ومنه فكلمة المثقف في اللغة العربية تحمل معاني تتجاوز ما يقابلها في اللغات الأجنبية، فليس هناك كلمة واحدة مباشرة في تلك اللغات، تؤدي بالضبط معنى المثقف، ففي الإنجليزية مثلا كلمة "Intellectual" وفي الفرنسية كلمة "Intellectuel" تحملان معنا عقليا بالدرجة الأولى، وفي اللغة الروسية "Intelligentsia" بمعنى "أنتلجنسيا" تحمل إلى جانب المعنى العقلي معنا سياسيا ثوريا.

ففي اللغة الأجنبية، حسب القاموس الموسوعي"Hachette" فكلمة "Intellectuel" مشتقة من "Intelligence" و"Intellect" التي يعادلها الذكاء في العربية، وتعني القدرة على فهم واكتشاف العلاقات بين الوقائع والأشياء، أو القدرة على الفهم والمعرفة، ومنه فكلمة مثقف هي صفة لمن تربطهم علاقة بالذكاء والفكر، كما أنه اسم لمن يستحوذ ذوقا أو عملا يمكنه من السيطرة على الحياة الفكرية.(18)

وفي الاصطلاح تعتبر كلمة المثقف "intellectuel " وافدة على الحقل اللغوي والدلالي العربي، ظهرت عن طريق الاحتكاك بالغرب بفضل الدراسات التي أنجزها المستشرقون، وكذا الرحلات العلمية والبعثات الطلابية التي تأثرت بالسجالات التي عرفتها أوروبا .خاصة المنحى العقلاني الليبرالي لعصر التنوير، الذي مثلته أفكار "مونتيسيكو"، "فولتير "و"روسو"، الشيء الذي أفرز التزايد والمغالاة في العقلانية والاتجاه نحو مزيد من الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والسياسية والمطالبة بحرية الفكر وتحرير العقل من قيوده واحترام الإرادة الشعبية والثورة ضد الاستبداد والطغيان.(19)

أما هشام شرابي فيشير مركزا على دور التعليم في بعث المثقف بفك الحصار على الفكر قائلا" كانت فئة علماء الدين المغلقة هي الوحيدة التي تخرجت منها النخبة المثقفة في العالم العربي، كانت طبقة العلماء تحتكر المعرفة والنشاط الثقافي لأجيال عدة حتى أواخر القرون الوسطى، لكن تأثير التعليم والأفكار الجديدة كسر هذا الاحتكار تدريجيا ولكن في صورة حاسمة، إذ برزت طبقة جديدة من المثقفين في أواخر القرن التاسع عشر، وما صاحبه من حس نقدي أدى إلى انحلال النظام الفكري القديم واختفت وحدانية التفكير وتهاوت المصنفات الجامدة وبرزت بالمقابل أنماط فكرية متباينة".(20)

ويرصد "جون بول سارتر" مراحل تطور الفكر الأوروبي من عصوره الظلامية اللاعقلية التي استمرت إلى القرن الرابع عشر، إلى مراحله التنويرية والمقدسة لسلطة العقل والفكر، ويربط ذلك بعلمنة القطاعات

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

التجارية، أما عن كيفية تبلور المثقف بمعناه الحديث، فيربط ذلك بتحرير العقل من طغيان الكنيسة وآلهة الأرض أو الإكليروس الذين احتكروا العلم والمعرفة بسبب أشكال الوساطة التي كانوا يفرضونها، غير أن هذه الممارسات بدأت في الزوال بظهور "اختصاصيّ المعرفة العلمية " من مهندسين ومحاسبين وغيرهم، بسبب نمو الطبقة البورجوازية وتطور الرأسمالية التجارية بأوربا، فبدأت تنتزع صفة القداسة على سائر القطاعات العملية، وعليه فكلما تمت علمنة قطاع من القطاعات، أخذ الإله أهبته للصعود من جديد إلى السماء، وبالفعل أضحى الرب منذ نهاية القرن السابع عشر الرب غير المنظور، ويرى سارتر أن المثقفين بدأوا وكأنهم عضويون بالمعنى الغرامشي، أي تحرروا من الطبقة البورجوازية التي انحدروا منها ليعبروا عن الروح الموضوعية لهذه الطبقة منتصرين لقيم الإنسانية والعالمية الخالدة، الحق، الحرية والعدالة.[21]

وأورد أحمد زكي بدوي مفهوم المثقفين بأنهم رجال الفكر والأفراد، الذين يتميزون عن باقي أعضاء المجتمع بالخبرة والمعرفة، وقد يحصلون عليها عن استعداد أو كالتزام مترتب على وظيفتهم المهنية التي تستدعي مثل هذه الخبرة والمعرفة.[22]

ويشير معجم "Larousse" إلى أن المثقف هو من يحترف ممارسة الفكر ويسيطر على استعمال الذكاء وتطويع ملكاته الذهنية، للتعرف على ما يحيط به من ظواهر، وفهم ما حوله من علاقات، حيث حصر المثقفون في الشغيلة الذهنيين أساسا، أي الذين يمارسون النشاطات الفكرية والعقلية، وهو ما يميزهم عن الشغيلة اليدويين.[23]

أما سعد الدين إبراهيم فقد ترجم كلمة "Intellectual" بكلمة مفكر، ويعرفه بأن صناعته الأساسية هي الفكر والثقافة، أو من يستحوذ الاشتغال بالفكر والثقافة على قدر كبير من طاقاته، وأورد أيضا تعريف الانتلجنسيا، معتبرا إياه مدلول تاريخي - اجتماعي محدد، يشير إلى المتعلمين تعليما عاليا حديثا، من الأطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين والصحفيين والكتاب والعلماء في روسيا وأوروبا الشرقية، سواء كانوا مشتغلين بالفكر أو عدمه وسواء كانت لهم اهتمامات عامة خارج مهمتهم وتخصصاتهم أو لم تكن.[24]

المثقف في معناه الواسع يشمل أولئك الذين يساهمون في إنتاج أو نشر قيم وبناء رؤى أو تصورات للعالم وكذا إنتاج معارف سواء كانت ذات صبغة أخلاقية أو بصفة أعم فلسفية.[25]

ومنه فمفهوم المثقف يرتبط بـ:

- الاحتكام إلى العقل أو ممارسة العمل العقلي.
- امتلاك قدرة عقلية أو ذهنية.
- الاعتماد على العقل وليس العاطفة أو الوجدان.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

- شخص ذو مهارة وحذق عقلي.

ويضيف حماني أقفلي إلى أن صفة المثقف لا تنحصر في الأشخاص الذين يهتمون بالشؤون الفكرية والاجتماعية والسياسية وحدها، أي في الأدباء والمفكرين والشعراء المحليين، وإنما يشمل كذلك كل المبدعين في كافة المجالات الفكرية والفنية والعلمية، بما في ذلك العلوم الدقيقة، شريطة أن تكون لهم مساهمات في خلق ونشر المعرفة.(26)

إذن فما يميز المثقف عن باقي القوى الفاعلة في المجتمع، هو اهتمامه المستمر بتنمية المعرفة وتنشيط الثقافة، للمساهمة في تشكيل تصورات واتجاهات أفراد المجتمع تجاه مختلف القضايا، بحيث تتجاوز اهتماماته حدود مصلحته الخاصة لتشمل بقدر ما يستطيع مصلحة المجتمع ككل.

ومنه فشمولية مفهوم المثقف لا تتناقض مع التعريفات التي عبر عنها مجموعة من المفكرين، في تعريفهم للمثقف بأنه هو الإنسان الذي يضع نظرة شاملة لتغيير المجتمع، أو هو المفكر المتميز المسلح بالبصيرة، أو هو الذي يمتلك القدرة على النقد الاجتماعي والعلمي والسياسي، أو هو المفكر المتخصص المنتج للمعرفة، وهي تعريفات عامة لا تحرص على تحديد الزاوية أو الموقع الذي ينطلق منه ذلك المثقف في ممارسة النقد الاجتماعي أو السياسي أو في صياغته للنظرة الشاملة للتغيير، والزاوية المقصودة هي الموقع الطبقي بالتحديد فهو الغاية والقاعدة المنتجة والمحددة لكل رؤية فكرية ثقافية أو لكل ممارسة نقدية.(27)

في ضوء ذلك يحدد "جرامشي" دور المثقف ومسئوليته تجاه الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها سواء في إنتاج المعرفة أو المواقف، فالمثقف عنده هو كل إنسان يقوم خارج نطاق مهنته بنوع من أنواع النشاط الفكري، حيث يرى أن للمثقف صفتين الأولى هي الوعي الاجتماعي الكلي بقضايا المجتمع من منطلق بناء فكري محكم، والثانية هي الدور الاجتماعي الذي يلعبه بوعيه ونظرته، فالوعي الاجتماعي هنا يقود إلى القيام بدور اجتماعي، فلا دور سياسي أو اجتماعي دون وعي اجتماعي ووعي بالواقع المعاش.(28)

وتظهر أهمية المثقف العضوي الذي عناه جرامشي من خلال نظرية علم الاجتماع، وليس من خلال مسألة المثاقفة والتراكم المعرفي فقط، إذ على المثقف أن يلعب دوره في قضايا المجتمع المدني والدفاع عن قضايا حقوق الإنسان، وهذا الدور تبناه بعد جرامشي كل من فوكو وهابرماس ومدرسة فرانكفورت وإدوارد سعيد، كما أن الليبرالية تبنت ذلك الدور في معطياتها الجديدة وهو دور تنويري ونضالي أكثر منه دور تثاقفي وتراكم كتابات مستلبة للذات، فالمثقف العضوي حسب المفكر جرامشي يتميز بخصائص ثلاث هي (29):

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

- أنه يصدر عن نسق إيديولوجي متكامل يوفر له في آن واحد رؤية ومنهجا للتحليل وإطارا للتعبئة الجماعية، في مقابل التوجهات الفلسفية والفكرية العامة.
- لا يتجه المثقف العضوي إلى النخب العلمية والسياسية وحدها، وإنما يستهدف بخطابه أساسا القاعدة الاجتماعية العريضة التي يعتبرها هدف التغيير ووسيلته، وينتج عن هذا المنحى تغير في طبيعة الإنتاج الثقافي نفسه.
- ليس النشاط الثقافي هو الغاية ذاتها بل هو مجرد صيغة من صيغ العمل النضالي، ومعياره هو الفاعلية التعبوية للمجتمع.(30)

وبناءا عليه فالمثقف يملك سلطة ثقافية تتجلى في حيازة ملكات الفهم والتحليل والنقد، وهي سلطة قد يوظفها تدخلا في الشأن العام بل وتوجيها أو معارضة للسلطة السياسية، من هنا يصاغ النقد للمثقف لأنه يطالب بسلطة ثقافية مفقودة محاولا استنساخ وضع مغاير للمثقف الغربي، الذي كانت له سلطة ثقافية مع حيازته لأدوات النضال الديمقراطي بل والمواجهة الصريحة أحيانا للسلطة السياسية، هذا هو جوهر أطروحة "علي أومليل" الذي يقول عن الكاتب العربي أنه يطمح إلى أن يكون له الدور الذي أصبح للكاتب في المجتمع الديمقراطي، في حين أن هذا الأخير يرتكز على ماض من نضال طويل خاضه أسلافه لكي تترسخ حرية الكاتب وتتأكد سلطته، إن سلطة الكاتب المعنوية إنما هي مشروع ينبغي أن يتحقق بتراكم النضال الثقافي، وإذا كانت هذه وضعية قد أصبح يستند إليها الكاتب في مجتمعات بعينها فلأنها قد تحققت عبر ممهدات تراكمية متضافرة.(31)

ثالثا- في مفهوم النخبة المثقفة:

وبناء على ما تقدم من تعاريف لكل من النخبة والمثقف، تصبح النخبة المثقفة "هي تلك التي تمتلك ثقافة عضوية وظيفية، تضع التغيير على رأس اهتماماتها وفي أعلى سلم أجندتها وأولوياتها".(32)

ومما سبق يمكن تحديد مفهوم النخبة المثقفة وفقا للمعايير التي ارتكزت عليها معظم التعريفات المطروحة، مثل التعليم والثقافة، والابتكار والإبداع، والمهنة والدور الاجتماعي، الوعي بالأدوار الاجتماعية وقضايا المجتمع ومشكلاته، والموقف من التحديات والمشكلات التي تواجه المجتمع.

1- النخبة المثقفة وفقا لمجال الثقافة والتعليم:

تطرق رواد علم الاجتماع إلى معنى النخبة المثقفة ، انطلاقا من تأكيد درجة التعليم والمهنة التي يعمل بها ذلك الشخص الموسوم بالمثقف، حيث يعرف ماكس فيبر المثقف بأنه" الشخص الذي تمكنه صفاته الخاصة من النفاذ إلى منجزات لها قيمة ثقافية كبرى"، كما يرى أن المثقف هو ذلك الشخص المتعلم والمهني من الطبقة الوسطى والمختلف عمن يعمل بالصناعة والتجارة من الطبقة العليا أو الدنيا، في حين

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

يرى "بارسونز" أن المثقف هو الشخص المتخصص في أمور الثقافة، الذي يضع قضاياها فوق كل اعتبار من القضايا اليومية.(33)

وفي إطار تأكيد عنصر التعليم كمميز لهوية المثقف، يرى "محمد محفوظ" أن نوعية العلاقة التي تربط الإنسان بالعلم والمعرفة هي التي تحدد انتماءه إلى دائرة المثقفين أو غيرها من الدوائر، وفي هذا السياق يعرف "روبرت مايكل" المثقفين بأنهم الأشخاص الذين يملكون المعرفة وتبنى أفكارهم وأحكامهم على المعرفة والتأهل والتفكير العلمي.(34)

2- النخبة المثقفة وفقا لمجال الإبداع والابتكار:

يرى الكثير من الباحثين أن عنصر الإبداع والابتكار عنصر أساسي في تمييز النخبة المثقفة عن الأشخاص العاديين، فيعرف "محمد محفوظ" المثقف بأنه ذلك الإنسان الذي يقبل قيم الثقافة العليا، ويسعى عبر نشاطه النظري والعلمي إلى إنجاز تطلعات الثقافة في الواقع الخارجي، ويعرف "هشام جعيط" المثقف بأنه الذي يبدع ويخلق، ويمثل دور في ربط الثقافة بالواقع الفكري أو السياسي، حيث لا يوجد انفصال الثقافة والتعليم عن الإنتاج الفكري والإبداع، فالمثقف هو الذي يمارس نشاطا نظريا أو فكريا أو عمليا، أو جميع هذه النشاطات، ذلك أن النشاط الفكري أو الإنتاج المعرفي هما الأساس في تحديد مفهوم المثقف، ويؤكد "بوتومور" نفس التصور حيث يرى أن المثقفين هم أولئك الذين يسهمون مباشرة في ابتكار ونقل ونقد الأفكار.(35)

ومنه فليس المثقف من يمتلك المعلومات الكثيرة والمتناثرة في ذهنه، وإنما من يمتلك القدرة على التفكير، وهذه القدرة لا تتأتى إلا بالمعلومات المنظمة في السياق الفعلي، وبما أن المعلومات التي يمتلكها الإنسان موجودة في سياق عقلي- ثقافي منتظم، فهذا يعني أنه سيوظفها فيما يرتبط بصناعة أفكار وثقافات جديدة، مما يعني بأن المثقف هو ذلك الإنسان الذي يتمكن من توظيف المعلومات والأرقام في سبيل صناعة فكرة جديدة، أو سياق ثقافي ويستنبط من جملة الأرقام والمعلومات المختزنة في ذهنه، فالمثقف ليس فقط من يلاحق الأحداث الثقافية، ويجتهد في متابعة الحركة الثقافية المحلية والعالمية، وإنما هو من يمتلك قدرة التفكير واستنباط الأفكار، وإنتاج الرؤى والتصورات، فمن محددات مفهوم المثقف إنتاج الفكر وصناعة الثقافة.

3- النخبة المثقفة وفقا للأساس الثقافي للمهنة:

يعرف القاموس الحديث لعلم الاجتماع المثقفين بأنهم أولئك الأفراد من أعضاء المجتمع الذين يكرسون أنفسهم لتطوير الأفكار الجديدة، والمشغولون بالممارسات الثقافية الخلاقة، وفي الحقيقة فإن مثل هذا الوصف يوضح أن المثقفين هم جماعة من النخبة في المجتمع ذات صلة طبيعية اجتماعية أو

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
haddadiwalida@yahoo.fr
ص . ص 276 - 289

تاريخية، فالمثقفون هم أولئك الذين يعدون بارعين أو مشغولين بشكل فعال بخلق وتوزيع وتطبيق الثقافة، وتتمثل المجموعة الأصغر حجما في المثقفين الخلاقين الذين ينصب تركيزهم الأساسي على التجديد وتطوير المعرفة والفن وعلى الصياغة الرمزية بشكل عام، وهذه المجموعة تضم الفنانين والباحثين والعلماء والفلاسفة والمؤلفين، وبعض المحررين والصحفيين، ويرى "حليم بركات" أن مهنة المثقفين تتمثل في النشاطات الفكرية، حيث ينشغلون بالبحث والإبداع، والشرح والتعليم والنشر، وصياغة الرموز لغايات كبرى، تشمل الفهم والمعرفة والوعي والتخطيط والعمل.(36)

رابعا- النخبة المثقفة: السمات والمتطلَّبات

يتمتع أفراد النخبة المثقفة ذاتهم بمجموعة من السمات التي هي واضحة في إطارها العام وسياقها الجماعي، ونبرزها في ما يلي:

- الخبرة والكفاءة في النطاق الإدراكي: يمتلك المثقفون قدرة إدراكية واسعة، تمكنهم من معرفة واقعهم الاجتماعي ومعرفة موقع مجتمعهم من الناحية التاريخية ومساره الحضاري، بما يخولهم التعرف والتعريف بوضعيته في السياقين المحلي والعالمي. ولا ترتبط هذه الخبرة والأهلية الإدراكية بالضرورة بنسق أو مستوى تعليم معين، بل إنها تتجاوز، وتصبح فضاء واسعا يعمل داخل المجتمع في عمومه (37).
- حساسية حادة تجاه القيم: هذه الخاصية تعطي المثقفين وظيفة تحديد الاتجاهات الاجتماعية العامة في لحظة تاريخية بعينها، إن تحديد هذا المسار يقتضي بالضرورة مطارحة للقيم التي تشكل هذا المجتمع، وتحديدا للأهداف الجماعية عن طريق إبداع أو تجديد (38).

كما تشمل النخبة المثقفة على مجموعة من السمات الموضوعية، التي نعني بها الأشكال التي تبدو من خلالها هذه النخب داخل المجتمع، يمكن اختصارها فيما يلي:

- ينحدر أفراد النخبة المثقفة من مختلف الطبقات، ولكن بدرجات متفاوتة إذ لا ينتسب المثقفون إلى طبقة اجتماعية محددة، بل ينحدرون من طبقات اجتماعية وفئات مختلفة.
- يوجد أفراد النخبة المثقفة غالبا في وضعيات تأييد أو معارضة للحركات السياسية والثقافية المختلفة، ولذلك يعتبرون في غالب الأحيان قادة للرأي العام، يكتسب من خلالها هذه النخبة شرعية رمزية أو إيديولوجية (39).
- يشتغل غالبيتهم في مجالات غير يدوية مباشرة فأغلبهم كتاب، قراء، شعراء، صحفيين، وأدباء وغيرهم، ذلك أن حقل اشتغالهم ينتسب إلى مجال بعيد الصلة نسبيا عن المجال اليدوي، و"إن كانت علاقته به غير مقطوعة.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

- يبقى أفراد النخبة المثقفة إلى حد كبير بعيدين بمسافة معينة عن باقي أفراد المجتمع، مكونين جماعات مميزة إلى حد ما، إذ أن طابع وجودهم الاجتماعي وشكل هذا الوجود يجعلهم مميزين عن باقي أفراد المجتمع.
- تكون النخبة المثقفة جماعة قليلة في المجتمع فعلى الرغم من تعميم وسائل الثقافة الجماهيرية، فإن النخبة المثقفة المبدعة تبقى جماعة قليلة العدد، بالمقابل مع غيرها من الجماعات داخل المجتمع [40].
- تقدم النخبة الثقافية نفسها كنخبة تشعر بالتميز وتسعى إلى الريادة، وكفئة مهمة في الأطر السياسية، وتدخل في صراع وتنافس طويل مع النخبة السياسية، حيث تنجح السياسة في استدراج العديد من الأطر المنتمية للنخبة الثقافية، ويتم إخضاعها لعمليات تعويد واختبار وتدجين واقتلاع مخالب وغربلة وتصفيات نهائية، وتظل العلاقة بين النخبتين علاقة تنافس تتراوح بين الصراع الناعم والصراع الشرس والإقصائي ونوع العلاقة تشرطه المعطيات التاريخية الظرفية.
- النخبة بدورها متراتبة ومتدرجة وهرمية، فهيب تعكس إلى حد كبير هرمية جهاز الدولة، كما تخضع بدورها لقانون المنافسة الشرسة والناعمة التي تحكم الحقل السياسي عامة والفضاء الاجتماعي برمته، وبالتالي فهي ليست متجانسة في مشاربها السياسية ولا في موقعها الاجتماعي[41].
- القدرة على صنع القرارات.
- لها دور فاعل في صناعة السياسة وتنفيذ ما تتضمنه من برامج.
- تشكل عناصرها وتؤيدها لتولي المناصب المهمة في المجتمع.
- التأثير في العقيدة من خلال الدعاة أو النخبة الدينية.[42]

خاتمة:

يكتسي طرح موضوع النخبة المثقفة في مختلف المجتمعات خاصة العربية منها خلال هذه المرحلة أهمية كبرى، بالنظر لمظاهر التحول الذي تشهدها في السنوات الأخيرة، والمسؤوليات التي يفترض أن تتحملها هذه النخب على طرق بناء مجتمع ديمقراطي متطور، فهناك أهمية خاصة داخل النخبة بصفة عامة، لعناصرها المثقفة والتي تمتلك القدرة على التأثير في الرأي العام بحكم امتلاكها قدرا من العلم والمعرفة يمكنها من صياغة المفاهيم العامة، فـ**النخبة** المثقفة لها دور مؤثر وفعال في إنتاج المعرفة ونشرها، وتقع على عاتق هذه النخبة مسؤولية نقل المعرفة إلى أفراد المجتمع فضلا عن الاضطلاع بمسؤولية الإصلاح الاجتماعي والثقافي والسياسي.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 276 - 289
haddadiwalida@yahoo.fr

فما تتمتع به هذه الفئة من قدر عال من التأهيل العلمي والثراء الفكري، والخبرات المهنية التراكمية في مجال عملها، يؤهلها لقيادة المجتمع والتأثير فيه بوصفها جزءا منه، تسهم في توجيه أفراده، من خلال قيامها بمتطلبات مسؤولياتها المهنية، بتفاعل ووظيفية، عبر مختلف القنوات والوسائل الرسمية والخاصة.

إلا أنه رغم تبلور مفهوم النخبة المثقفة، إلا أن اللبس والغموض لا يزال يصاحبه من جوانب كثيرة ومهمة، منها أهمية الاتفاق على تعريف علمي لما يسمى بالنخبة، وطبيعة تشكلها وتطورها، وملابسات علاقتها مع الدولة من جهة، وكذلك علاقتها بالقواعد الشعبية من جهة أخرى، والأهم من كل ذلك مدى تعبيرها عن واقع مجتمعاتها والعمل على تنميتها.

الإحالات والهوامش:

1. حسين مسكين، أزمة النخب العربية، الثقافة والتنمية، دار القرويين، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص ص:17-19.
2. محمد بن حيتان، النخب السعودية في التحولات والإخفاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص:23.
3. صابر عبد ربه، موقف الصفوة من النظام العالمي الجديد، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001، ص:21.
4. علي محمد بيومي، دور الصفوة في اتخاذ القرار السياسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2004، ص:23.
5. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار العرب للنشر، بيروت، 1970، ص:75.
6. جابر محمد عبد الموجود، اتجاهات النخبة حول تجديد الخطاب الديني، مجلة البحوث الإعلامية، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ع18، أكتوبر 2002، ص:69.
7. رضا عبد الواجد أمين، الصحافة الإلكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص: 141.
8. توماس بيرتون بوتومور (ترجمة : محمد الجوهري)، الصفوة والمجتمع (دراسة في علم الاجتماع السياسي)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص:5.
9. Eguene Ehrlich Webster dictionary, Harper collions publishers, New York, 1993, p: 176.
10. جمال أبو شنب وإسماعيل علي سعد، الصفوة العسكرية والتنمية السياسية في دول العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص:33.
11. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص:154.
12. عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 1980، ص: 133.
13. رضا عبد الواجد أمين، المرجع السابق، ص ص: 145- 146.
14. السيد محمد السيد عمر، الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ص ص:121، 125.
15. المرجع نفسه، ص:144.
16. المرجع نفسه، ص:125.
17. سعيدي الصديق، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط34، 1996، ص:126.
18. Dictionnaire Hachette encyclopédique, France, 1995, P:970.
19. هشام الشرابي، المثقفون العرب و الغرب، دار النهار للنشر، بيروت، 1971، ص:77.
20. المرجع نفسه، ص: 16.
21. جون بول سارتر (ترجمة:جورج طرابيشي)، دفاع عن المثقفين ، دار الآداب، بيروت، ط1، 1973، ص:18.

22.أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص:222.

23.Le grand Larousse de la langue Française, France, 1995, p.883 -894.

24.سعد الدين إبراهيم، المفكر والأمير(تحسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب)، الأنتلجنسيا العربية، ص.214.

25.Nouara Hocine, Les intellectuels Algériens mythes, mouvance et anamorphose, ENAG, Alger: 2005.p.32.

26. حماني أقفلي، السلوك الاجتماعي والسياسي للنخبة المحلية، إصدارات مركز طارق بن زياد، الرباط، ط1، 2002، ص: 67.

27.نادية رمسيس، المثقفون والدولة والمجتمع المدني، ندوة جرامشي وقضايا المجتمع المدني، دار كنعان، دمشق، ص:233.

28.جوردون مارشال (ترجمة: محمد الجوهري)، موسوعة علم الاجتماع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، م 1، 2000، ص:538.

29.إدوارد سعيد (ترجمة: محمد عناني)، المثقف والسلطة، ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص: 21.

30.منصف الوناس، الأنتلجنسيا العربية (المثقفون والسلطة المساهمات العربية المعاصرة في مسألة المثقف العربي)، عمان، 1988، ص:214.

31.علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص:229.

32.عبد العزيز التميمي، النخبة المغاربية والتغيير، مجلة أقلام، ع9، السنة الثانية، أكتوبر2003. في www.alamonline.com، في: 2016/11/2.

33.Busino Giovanni, Elites et élitisme, France : Puf, 1996, p.36.

34.Ibid, p.37.

35.Ibid, p.65.

36.Ibid, p.66.

37.ر. بودون وف بوريكو (ترجمة: سليم حداد)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992، ص: 487.

38.المرجع نفسه، ص: 487.

39.محمود كسير، التاريخ بين السياسة والاجتماع، رؤية سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص: 27.

40.L. Bodin, L'intellectuel, in la grande Encyclopédie la rousse, Tome 9, Edition la rousse, Paris, 1971, p.112.

41.محمد سبيلا، النخبة السياسية والنخبة الثقافية في مغرب ما بعد الاستقلال، مدونة محمد سبيلا.

42.إدريس لكريني، النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية المطبعة والوراقة الوطنية، المغرب، 2005، ص: 13.